الأستاذ: ميلود فضة **الملتقى الدولي: المخطوط العربي الواقع والآفاق**

أستاذ محاضر "أ" **كلية الآداب واللغات. قسم اللغة والأدب العربي**

قسم اللغة العربية وآدابها (جامعة زيان عاشور بالجلفة) **جامعة المسيلة**

تخصص: تحقيق المخطوطات

البريد الإلكتروني: miloudfedda32@gmail.com

مصطلحات مراحل تحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق

تدور هذه المداخلة حول التعريف بمراحل التحقيق، ومحاولة جمع مصطلحات التحقيق وتصنيفها حسب كل مرحلة، والملاحظ للعنوان تتبادر إليه عدة أسئلة، لعل أبرزها: ما هي مصطلحات التحقيق؟ وهل يمكن حصرها؟ وما مدى تطبيقها في الواقع؟ وما هي مراحل التحقيق التي يمكن أن نتفق عليها وعلى تسميتها؟ وقبل ذلك ماذا نطلق على الشيء الذي يحقق؛ أهو التراث؟ أم النص؟ أم المخطوط؟ أم الكتاب المخطوط كما جاء على لسان بعض المستشرقين[1]؟ والمراحل التي نتحدث عنها في هذا البحث القصير، حسب ما أرى، وما وجدته في كتب هذا الفن، هي أربعة: أ. مرحلة ما قبل التحقيق. ب ـ مرحلة مقدمات التحقيق. ج ـ مرحلة تحقيق النص والتعليق عليه. د ـ مرحلة ما بعد التحقيق.

المتعارف عليه، عند أهل هذا الفن، هو إطلاق مصطلح "المخطوطات" تارة، و"التراث" تارة أخرى و"النصوص" تارة ثالثة على الكتاب المخطوط بالحرف العربي، وكأنه صار محل اتفاق بينهم؛ بدليل مُسمَّى كتبهم[2]، والظاهر أنها قد استعلمت للدلالة على ذلك الكتاب المكتوب (المخطوط) باليد، بالرغم

1ـ انظر مثلا: المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي، فرنسوا ديروش. وهو كتاب ألفه في علم المخطوطات(الكوديكولوجيا). وقد ترجمه د. أيمن فؤاد سيد إلى العربية، عن مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، سنة 2005م.

2ـ راجع مثلا الكتب الآتية: تحقيق النصوص ونشرها، لعبد السلام هارون، وتحقيق التراث العربي منهجه وتطوره، لعبد المجيد دياب، ومناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، لرمضان عبد التواب، وقواعد فهرسة المخطوطات العربية، لصلاح الدين المنجد، وفهارس المخطوطات العربية في العالم، لكوركيس عواد، والمخطوط العربي، لعبد الستار الحلوجي، وتحقيق التراث، لعبد الهادي الفضلي، المخطوطات العربية، لعزت ياسين أبو هيبة.

من الاختلاف البيّن بينها، والملاحظ كذلك، أن كلمة (تراث) أعم من كلمتي: مخطوط ونص؛ لأنها تعني كل ما وصل إلينا مكتوبا في أي علم من العلوم، أو أي فن من الفنون. بينما نجد في المقابل من يحدد (هو "فرانسوا ديروش" في كتابه: "المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي") هذا المصطلح بـ: "الكتاب المخطوط بالحرف العربي"؛ لكي يخرج من هذا التحديد كل ما كان مكتوبا على الحجارة، أو العظام، أو العسب ...إلخ.

فمصطلح " المخطوطات"- في نظر من يحاول أن يدقق – تعني كل كتابة مكتوبة على أي شيء، لكن استعملت المصطلحات السابقة (المخطوط، النص، والتراث) فقالوا: تحقيق المخطوطات، وتحقيق النصوص، وتحقيق التراث، للدلالة على المؤلفات المكتوبة بخط اليد. وكما هو معلوم، هناك فروق بين المصطلحات المذكورة سابقا؛ فكلمة " نص" تعني باختصار كلمات المؤلف الأصلية. وكلمة "تراث" تعني ((كل ما وصل إلينا مكتوبا، في أي علم من العلوم أو فن من الفنون، أو هو بالتالي: كل ما خلفه العلماء في فروع المعرفة المختلفة ...))[3]. وكلمة "مخطوط" كما يعرفه المعجم الوسيط: هو المكتوب بخط اليد لا بالمطبعة، وتجمع إلى مخطوطات. وهذا التعريف يشمل كل نص كتب باليد كتابا كان أم غيره[4] ويقابله المطبوع.

بعد هذا، يجدر بنا أن نتعرض لتعريف مصطلح "التحقيق" كما ورد في المعاجم، وفي كتب هذا الفن، جاء في لسان العرب:((حققت الأمر، وحققته: كنت على يقين منه))[5]. وأصله من قولهم: حقق الرجل القول: صدقه، أوقال هو الحق، والجاحظ يسمي العالم المحقق "محقا"، والإحقاق: الإثبات، يقال: أحققت الأمر إحقاقا إذا أحكمته وصححته[6]. أما في الاصطلاح فهو: ((بذل عناية خاصة بالمخطوطات حتى يمكن التثبت من استفائها لشرائط معينة))[7]. أو قل هو: ((قراءته على الوجه الذي أراده مؤلفه))[8]. ويتعمق "حسين الأعرجي" في هذا التحديد حينما يقول: ((والمعنى صحيح، ولكنه كان في أصله يُطلق على العالم الذي يتحقق من مسائل العلم الذي يخوض فيه، والتثبت منها، ومن هنا أطلق الناس على

---

3 _ رمضان عبد التواب، مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، ص:8.

4 _ ، محمد صالح ناصر، منهج البحث وتحقيق النصوص، ص:75-76.

5 _ ابن منظور، لسان العرب (حقق).

6 _ عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها، ص:42.هامش.

7 _ المرجع نفسه، ص: 42.

8 _ رمضان عبد التواب، مرجع سابق، ص: 5.

بعض العلماء أنهم من العلماء المحقّقين ...))[9] ويمكننا أن نشبهه بذلك البناء الذي سقطت منه بعض أجزائه، فيعاد بناؤه وترميمه من جديد، وعلى الشكل الذي أراده مصممه الأول.

نعود لنتحدث عن مراحل تحقيق المخطوط _ حتى يصير، أو يقترب من الصورة التي تركها عليه مؤلفه_ بداية بجمع النسخ، والتأكد من نسبتها إلى مؤلفها، ثم تحقيق متنها بالكيفية المعروفة، وأخيرا كتابة مقدمة التحقيق، ووضع الفهارس المناسبة.

والمتتبع لكتب التحقيق يجد بعض الاختلاف في ذكر الخطوات والمراحل المتعلقة بالتحقيق، لكن لا تختلف في المضمون، ومن هؤلاء نذكر "محمد صالح ناصر" الذي قسم مادته العلمية في القسم الثاني من كتابه إلى: ((1_ مرحلة ما قبل التحقيق، وفيها: معرفة المخطوط، وجمع النسخ، والتأكد من نسبته إلى مؤلفه. 2_ مرحلة الانتساخ (نسخ المخطوط)، وضبط النص بالترقيم والتنقيط والتشكيل. 3_ مرحلة تحقيق النص وضبطه، وفيها: دراسة متن المخطوط، وتصحيح الأخطاء، والمقابلة بين النسخ. 4_ مرحلة التعليق وكيف يتم في الهامش، وفيها: الإحالات، التخريج، التعريف بالأعلام، والمصطلحات، وما إلى ذلك. 5_ مرحلة كتابة مقدمة التحقيق))[10]. ولم يذكرها المؤلف بهذا العنوان (مراحل التحقيق) ولكن أشار إليها بقوله: ((وقد حاولنا ... أن نقسم المادة العلمية على مراحل تمشيا مع ميدان البحث العلمي ...))[11]. ونضيف إلى المرحلة الأخيرة السابقة عملية أخرى؛ وهي صنع الفهارس للمخطوط المحقَّق.

وقد لخص "عبد الستار الحلوجي"[12] الخطوات الأساسية لعملية التحقيق في مراحل ثلاث، هي: – جمع النسخ والمقارنة بينها وتحديد منازلها. – إجراء عملية التحقيق بالكيفيات المعروفة. – إخراج النص.

واعتمدت في تقسيم مراحل التحقيق على كتب أخرى؛ ككتاب "مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين" لرمضان عبد التواب، و"عبد الهادي الفضلي" في كتابه "تحقيق التراث" الذي ذكر في فهرسه _ بعد المقدمة، ونشأة التحقيق وتعريفه _ ما يلي: _ مقدمات التحقيق؛ وذكر فيها عدة عناوين ومصطلحات ... ثم تحدث عن خطوات التحقيق، وبعدها مكملات التحقيق؛ كالتخريج والتعليق... إلى أن ينهي كتابه بعنوان: بعد التحقيق؛ وجاء فيه مقدمة التحقيق، ومصادر ومراجع المحقق[13].

---

9 _ محمد حسين الأعرجي، أوهام المحققين، المقدمة.

10 _ محمد صالح ناصر، منهج البحث وتحقيق النصوص، ص: 5.

11 _ المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

12 _ عبد الستار الحلوجي، المخطوط العربي، ص: 276.

13 _ ينظر كتابه: تحقيق التراث، فهرس الموضوعات.

ومن خلال ما مرّ بنا، نستطيع أن نقسم مراحل التحقيق إلى: أ_ ما قبل التحقيق. ب_ مقدمات التحقيق. ج_ تحقيق النص والتعليق عليه. د_ ما بعد التحقيق. وأشير إلى أن المراد بلفظة "التحقيق" المذكورة في المراحل السابقة لها معنيان؛ الأول قريب، والثاني بعيد؛ فالأول يراد به التحقيق بالمعنى الخاص؛ أي تحقيق النص المخطوط والتعليق عليه في الهامش، أما المعنى البعيد للكلمة فهو التحقيق برمته؛ وهو مجموع المراحل كاملة، أي من بداية تحقيق النص المخطوط إلى نهايته.

وقد حاولت _ في دراسة سابقة _ جمع وإحصاء مصطلحات التحقيق من مظانها، ثم قمت بشرحها والتمثيل لبعضها بصور من مخطوطات مختلفة، والبحث لا يزال قائما حتى حصرها بالكامل في بحث مستقل مستقبلا، إن شاء الله تعالى، وهي حتى الآن:

_ مصطلحات ما قبل التحقيق: _ بدايات التأليف. _ التراث. _ التشكيل. _ التعقيبة. _ التقييدة. _ التنقيط. _ ثقافة المحقق. _ الحروف العربية. _ الخط العربي. _ صفات المحقق. _ ظهر الورقة. _ العَجْم. _ علم المخطوطات. _ غاية التحقيق. _ الكتابة. _ كتب التحقيق. _ الكراس. _ الكوديكولوجيا. _ المجموع. _ المحقق. _ المخطوط. _ مراحل التحقيق. _ مقدمة المخطوط. _ النسخة. _ النقطة القديمة. _ الوثيقة. _ وجه الورقة...

مصطلحات مقدمات التحقيق: _ الإجازة. _ الاختصارات. _ الاستجازة. _ الاستملاء. _ الاستنساخ. _ الإقراء. _ الإملاء. _ تاريخ النسخ. _ التختيم. _ حرود المتن. _ ترتيب الأصول. _ التسويد. _ التمليكات. _ توثيق النص. _ جمع النسخ. _ الرَّق. _ السّماع. _ السّند. _ علامات التملك. _ علامة انتهاء الاقتباس. _ فحص النسخ. _ فهارس المخطوطات. _ الفهرس المطبوع. _ قدم النسخة. _ القراءة. _ المبيَّضات. _ مبيَّضة المؤلف. _ المختصرات. _ مراجع المحقق. _ المسوَّدات. _ المكاتبة. _ منازل النسخ. _ المناولة. _ النّاسخ. _ النَّسْخ. _ النسخة الأم. _ النسخة الفريدة. _ النسخة الوحيدة. _ الوِجادة. _ الورّاقون. _ الورق...

مصطلحات تحقيق النص والتعليق عليه: _ أخطاء النُّسخ. _ أدوات التحقيق. _ إصلاح الخطأ. _ انتقال النظر. _ التحريف. _ التحشية. _ التحقيق. _ تحقيق اسم المؤلف. _ تحقيق العنوان. _ تحقيق متن الكتاب. _ التخريج. _ تخريج الآيات. _ تخريج الأحاديث. _ تصحيح الأخطاء. _ التصحيف. _ التعليق. _ تقويم النص. _ التهميش. _ الحاشية. _ الخَرْم. _ الخلل في النُّسخ. _ الرَّسم. _ الزيادة والنقص. _ الضَّبط. _ عدة المحقق. _ علامة الإلحاق. _ علامة التكملة الحديثة. _ عمل المحقق. _

كتب الأمثال. ـ كتب البلدان. ـ كتب التصحيف والتحريف. ـ كتب المشتبه. ـ المتن. ـ المقابلة. ـ النص. ـ النقد الخارجي. ـ النقد الداخلي. ـ الهامش...

مصطلحات ما بعد التحقيق: ـ الإبرازات. ـ الإحياء. ـ الإخراج. ـ الأرقام. ـ الاستدراك. ـ الاستشراق. ـ التجليد. ـ ترتيب الفهارس. ـ الخط المائل. ـ صنع الفهارس. ـ الطبع. ـ علامات الترقيم. ـ الفهارس. ـ فهرس الأشعار. ـ فهرس الأعلام. ـ كتب التراجم. ـ مقدمة التحقيق. ـ مقدمة المحقق. ـ النشر. ـ وصف المخطوط...

ما يمكن أن نلاحظه عن المصطلحات السابقة، وكيفية توزيعها على مراحل التحقيق، أنها تكثر في المرحلتين الثانية (مقدمات التحقيق) والثالثة (تحقيق النص) وتقارب هاتين الأخيرتين المرحلةُ الأولى، أما الأخيرة (ما بعد التحقيق) فتقل بالمقارنة مع المراحل السابقة؛ وهذا دليل على انتهاء عملية التحقيق، وما هذه المرحلة إلا تكملة له، وفيها خطوتان مهمتان؛ هما: كتابة مقدمة التحقيق، وإنجاز الفهارس للمخطوط المحقق.

وهنا أنبه على أمر، وهو أن من المحققين[14] من يجعل في المرحلة الأخيرة فقط مقدمة التحقيق، والمصادر والمراجع، ويضم خطوة الفهارس في مرحلة تالية للتحقيق، وهي "مكملات التحقيق" التي خطواتها: التنقيط والتشكيل، والترقيم، والتهميش، والفهارس.

ومصطلحات المرحلة الأولى في حقيقة الأمر ليست بالأهمية البالغة، كما هو الحال بالنسبة لمصطلحات المراحل التالية لها، ولا تدخل في عملية التحقيق الفعلية؛ بل هي بمثابة زاد يتعلمه المحقق، ومن ثقافته التي لا بد منها، ولكن معرفتها يذلّل الكثير من العقبات والصعوبات للمحقق؛ لكي يفك شفرات هذا المخطوط، أو ذاك، فمصطلح "التعقيبة" مثلا، وتكرارها في أسفل صفحات المخطوط يساعد في معرفة سلامة المخطوط من "الخَرْم"، ومعرفة مصطلح "الخط العربي" وما يتعلق به من نشأة وتطور وأنواع يساعد المحقق أيضا في قراءة المخطوط، ومعرفة تاريخ نسخه، أو عصره، إن لم يذكره الناسخ... فكلما كانت معرفتنا بالمصطلحات المتعلقة بالتحقيق واسعة ودقيقة، كلما كانت إحاطتنا بالمخطوط أدق وأشمل، وهذا يعود بالفائدة المرجوة من عملية التحقيق؛ وهي إخراجه على الوجه الذي أراده مؤلفه.

---

14 ـ راجع مثلا: عبد الهادي الفضلي، تحقيق التراث، ص: 179 وما بعدها.

وبناء على ما سبق، يمكننا أن ندمج المرحلة الأولى في الثانية تحت مسمّى "مرحلة ما قبل التحقيق"؛ لأن كلتيهما سابقتان للمرحلة الثالثة، وهي مرحلة تحقيق النص والتعليق عليه، فيصبح عندنا ثلاث مراحل: أ_ مرحلة ما قبل التحقيق. ب_ مرحلة تحقيق النص والتعليق عليه. ج_ مرحلة ما بعد التحقيق.

ونحاول ها هنا، تصنيف تلك المصطلحات وفق المراحل المذكورة في المخطط الآتي:

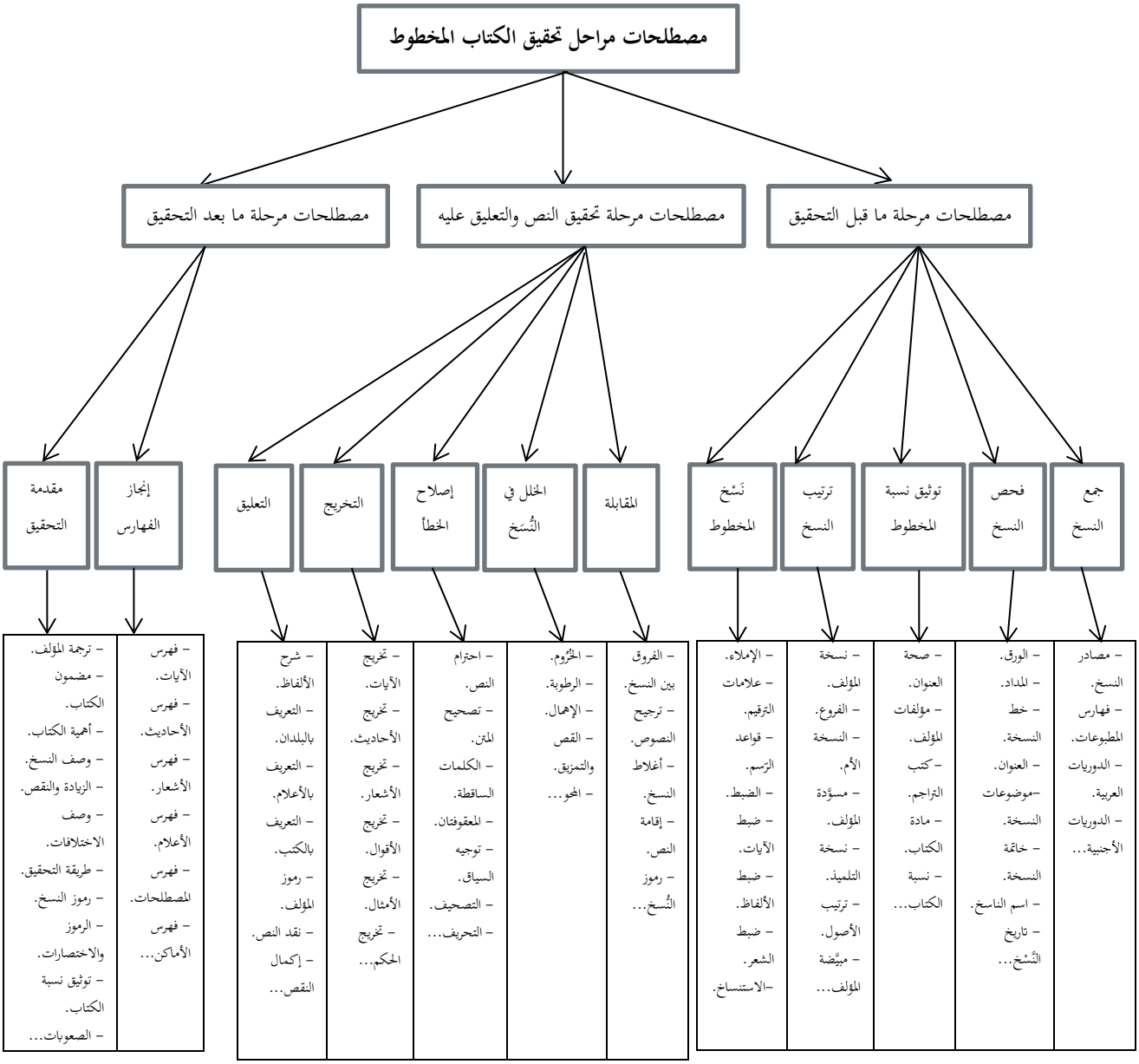

ونشير هنا، إلى أن عملية التحقيق كلٌّ متكامل؛ مصطلح يخدم الآخر، من بداية التحقيق إلى نهايته؛ إذ لا نتصور تحقيقا بدون "مقابلة"، أو بدون "إصلاح للخطأ" ... وقد نجد مصطلحا متضمنا في آخر؛ وعلى سبيل

المثال، لا الحصر، مصطلح "التخريج" الذي يحتوي على "تخريج الآيات"، "تخريج الأحاديث" ...الخ فما هو إلا جزء من مصطلح "التعليق" ...

والحديث عن المصطلحات والمراحل يجرنا للحديث عن تطبيق تلك المصطلحات في الواقع؛ أي ممارستها في العملية التحقيقية، فلا يخفى على الخبراء وأهل الاختصاص تهافت المحققين _ سواء مبتدئين منهم أو محترفين _ على تحقيق تراثنا القديم، ولكن الأسف ما نجده في بعض النسخ المحققة المطبوعة من أغلاط وأوهام[15] يجعلنا نتساءل عن أسباب ذلك، هل هو في رداءة المخطوط وغموضه؛ حيث تصعب قراءته؟ أم في جهل بعضهم بآليات التحقيق وعدم فهم التراث فهما جيدا؟ أو هو في العجلة في تحقيق وإخراج النسخة المحققة إلى السوق قصد الربح والشهرة؟ وهل يكمن في الحصول على شهادة أو درجة علمية؟ أم أن هناك وجه خفي لذلك يكمن في قلة أو انعدام النقد في هذا الميدان؟ أي نقد ما نشر من التراث العربي المخطوط ...

وختاما لهذا الموضوع، وما أشرنا إليه سابقا، وما لمسناه في واقع التحقيق، نقول أن مصطلحات التحقيق كثيرة ومتنوعة، ومكملة لبعضها البعض، حتى أننا نجد بعضها متضمنة في أخرى، ويجب على كل مقبل على التحقيق أن يعرفها ويمارسها، وبدون تطبيقها لا يمكنه أن يستوعبها ولا يعرف قيمتها، وهذا كله يعود بالفائدة المرجوة على المخطوط المراد تحقيقه؛ حتى يخرج كما أراده مؤلفه وارتضاه.

15_ وقد ألف "محمد حسين الأعرجي" كتابا سمّاه: "أوهام المحققين" عن دار المدى، سوريا، سنة 2004م، وهو كتاب نقدي لبعض ما كتب وما حقق في التراث العربي.

مصادر ومراجع المداخلة:

– رمضان عبد التواب، مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1986م.

– صلاح الدين المنجد، قواعد فهرسة المخطوطات العربية، دار الكتاب الجديد، بيروت.لبنان، ط2، 1976م.

– عبد الستار الحلوجي، المخطوط العربي، مكتبة مصباح، السعودية، ط2، 1989م.

– عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1954م.

– عبد المجيد دياب، تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1993م.

– عبد الهادي الفضلي، تحقيق التراث، مكتبة العلم، جدة، ط1، 1982م.

– عزت ياسين أبو هيبة، المخطوطات العربية فهارسها وفهرستها ومواطنها في جمهورية مصر العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2007م.

– فرانسوا ديروش، المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي، ترجمة: أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 2005م.

– كوركيس عواد، فهارس المخطوطات العربية في العالم، معهد المخطوطات العربية، الكويت، ط1، 1984م.

– محمد حسين الأعرجي، أوهام المحققين، دار المدى للثقافة والنشر، سوريا، ط1، 2004م.

– محمد صالح ناصر، منهج البحث وتحقيق النصوص، معهد الاستقامة للدراسات الإسلامية بزنجبار، وجمعية الاستقامة الإسلامية التنزانية، 1994م.

– ابن منظور، لسان العرب، تحق: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة.